كلمة الأب هادي محفوظ، رئيس جامعة الروح القدس – الكسليك

مؤتمر عن "الذكرى المئوية الأولى لمؤتمر باريس العربي، حزيران ١٩١٣"

٨ و ٩ تشرين الثاني ٢٠١٢

اجتماعنا اليوم في هذه القاعة هو لافتتاح مؤتمر عن مؤتمر. ففكرة الاجتماع، بمن وراءه وبمن يكوّنه وبموضوعه، هي التي تستحوذ الآن على التفكير وعندها أودّ التوقف معكم لأمتدح كبار علمٍ بيننا ولأستخرج معاني حميدة تعنينا مباشرة.

فلأتحدث أولًا عن مؤتمرنا لأعبّر عن فرحي بانعقاده، لأنّ مؤتمرًا كهذا يعكس جديّة العمل الجامعيّ في جامعتنا الحبيبة، ولكي أشكر راعيَه، معالي الوزير كابي ليّون، وكلَّ المشاركين فيه، وكلّ الحاضرين، ملتفتًا بشكل خاص إلى الآتين من خارج لبنان ليشاركوننا أعمال المؤتمر. ولكنّني أودّ أن أخصّ بالشكر كبيرًا في عالم جامعتنا، حضرة الأب البروفسور كرم رزق، نائب رئيس الجامعة وعميد كليّة الآداب فيها، الذي له فضل كبير في إعلاء شأن الجامعة عمرانيًّا وأكاديميًّا، هو الرئيس الأسبق لها، وهو أكثر من أعلى البنيان فيها في سنين رئاسية ثلاث، وهو الأكاديميّ الباحث الغائص في عالم التاريخ، تختال دومًا أحداثه وأموره وشجونه في ذهنه، فيروح يلتقط منه كلّ فكرة تمتّ إلى الحاضر بصلة، ويروح يقطّر أمثولات التاريخ على قراءته لمجريات أمورنا وغدنا، لتتشح هذه القراءة بفرادة صائبة ومفيدة. وهذا المؤتمر إنّما هو نتاج من تنبّهه للتاريخ ولمفاصله ولأحداثه، على بعد مئة سنة من أول مؤتمر عربي في باريس سنة ١٩١٣.

أحببت امتداح الأب كرم رزق لسببين: الأوّل، لأنّ إطلاق العنان في قول كلمة الحقّ عن إنسان، يروي الغليل، ولو خرج المتكلّم عن بعض الخطوط التي تضبط ايقاع بعض المناسبات والظروف، والثاني، لكي أنتقل من نجاحه في حياته الأكاديميّة إلى الكلام عن نجاح الجماعة من خلال الأفراد، فأعرض بعضًا من معاني حدث مؤتمر معيّن.

فتاريخ البشريّة مكوّن من انصهار تواريخ أفراد وشعوب. وكذلك كلّ مؤتمَر، فهو يجمع أفرادًا يتدارسون أمورًا عديدة ومفيدة لقضاياهم. فيكون لكلّ مؤتمِرٍ فرادتُه في الشخصيّة والفكر وطرح الموضوعات ومقاربتها، ولكنّ كلّ مؤتمِرٍ يخرج من ذاته، غيرَ سامح لايديلوجيّة معيّنة سجنه فيها، عارضًا فكرته، لتضحي بمتناول الآخرين، عرضة لانتقادهم او لترحيبهم وتأييدهم، فيكون كلّ مؤتمِرٍ محاورًا الآخرين، مساهمًا في تعميق أفكار معيّنة أو خلق أخرى، سامحًا لاحتكاك الأفكار بعضها ببعض ولتشذيبها، فتتجه كلّ هذه العمليّة الانسانية والفكرية إلى الخير. هذا ما ينتج عن أيِّ مؤتمَر يكون فيه المؤتمرون أمينين للقضيّة التي يبحثونها ومتمسكين بالنزاهة العلميّة في عرض الحقيقة التي يؤمنون بها. هذا ما يشكّل نجاح كلّ مؤتمَر ونجاح كلّ مؤتمِر. فخارجًا عن الحقيقة والأمانة والخير، لا نجاح. والمؤتمر الذي لا يحمل هذه المقوّمات يضحي مؤامرة واندثارًا لا مؤتمرًا. هذه معادلة يُثبت التاريخ على الدوام صحّتها.

هذا ما يعود بنا جميعًا إلى المؤتمر الذي هو موضوع مؤتمرنا. ففي ذلك الحين، وبالصورة التي نحفظها عنه، تنادى مفكرون وصحفيون عرب كثيرون، لمئة عام خلت، للمطالبة بحقوق أساسيّة. لن أغامر في ولوج علم التاريخ للكلام عن نتائج هذا المؤتمر، بل أكتفي بالعودة إلى الفكرة الأساسيّة التي أدور حولها، أي اجتماع عدّة أفراد لخدمة قضيّة معيّنة من خلال العلم والحق والنزاهة والأمانة والخير.

إنّها حكاية كلّ مجتمع وكلّ قضيّة وكلّ فرد، فبدون روحيّة "المؤتمر المثاليّ" الذي حاولت تحديد ماهيّته ومكوّناته، يسقط المجتمع وتفشل القضيّة ويضيع الفرد. لذا، من ذاك المؤتمر سنة ١٩١٣، فلنتعلّم أكثر، خاصة في لبناننا الحبيب، وفي محيطنا العربيّ المتخبّط بالضياع، فلنتعلّم اللقاء والحوار والخروج من الذات وعدم الانغلاق في الإيديولوجيات والانفتاح على الجميع والتفتيش عن الخير والمحبة والطيبة.

ومن المفرح أيضًا أن نرى أن المؤتمر الذي نفتتحه الآن يجاور مؤتمرًا آخر تنظّمه كلية ادارة الأعمال حول كيفية إدارة الأعمال بشكلٍ مسؤولٍ وهو يسلّط الضوء على المسؤولية الاجتماعيّة في القيام بأعمال إدارية وماليّة. فيتشارك المؤتمران فكرة نجاح الفرد والجماعة في آن معًا، أو كما يطيب لي أن أسمّيهما، نجاح "الأنا" و"النحن" في آنٍ معًا. فهذان المؤتمران يوقظان فينا موجبات الرسالة الأساسية لجامعتنا، وهي الرسالة الأساسية في تعليم الكنيسة الكاثوليكية الاجتماعي، أي خدمة الإنسان، كلّ إنسان، بدون أيّ تمييز، وكلّ الإنسان، أي الإنسان في كلّ أبعاده. وشكرًا.